سؤال

أَشْهَرُ الْمُغَالَطَاتِ المَنْطِقِيَّة ٢

سُئِلَ حكيمٌ: ما السَّعَادَةُ؟
فقال: "السَّعَادَةُ فِي حُجَّةٍ تتَبخْتَرُ اتِّضَاحًا، وشُبْهَةٍ تَتَضَاءَلُ افْتِضَاحًا"

د. عزة رمضان العابدة

ع | مطوية رقم (٢) | مسلسل رقم (١١٨) ٢٠١٩

مبادرات طابة
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

تَأتي هذه المطويةُ استِكْمَالًا للحديثِ عن الْمُغَالَطَات الْمَنْطقيّة، التي تدخل -كما بيّنّا في الجزء الأول- ضِمْن بابِ (التفكير النقْدي).
والتفكير النقدي عبارة عن عمليّة تحليل موضوعيّ للأفكار والقضايا؛ بهدَفِ الوصُول إلى نتيجةٍ وصياغةِ حُكْمٍ بشَأْنِها. وبالتالي فهو يفتح مجالًا لإعْمَالِ العقْلِ في العالَمِ مِنْ حولِنا، كما أنه يساعدُنا على فهْم الواقِعِ والتعامُل معه بطريقة صحيحة، لا سيما في عصرٍ سِمَتُه الأساسية أنَّه مَليءٌ بفَوْضَى المعلوماتِ والمصادرِ والأفكارِ.

وإذا كانَ علم المنطق هو الأداة أو الوسيلة التي من خلالها يمكننا القيامُ بهذه المهمة، باعتباره القواعد المحدِّدة للتفكير الصحيح. هذه القواعد عند تطبيقها على بعض القضايا ينكشف لنا ما بها من خطأ وفساد؛ إذْ المغالطات المنطقية ما هي إلا أنماط شائعة من الحُجَجِ، أو الأدِلّة الباطلة، لكنها تتَّخِذُ صور الأدلة الصّحِيحة.
ومنْشَأ الغلط في هذا النوع من الحُجَجِ الفاسِدة قد يكون في الصلة أو الربْط بين السَّببِ والْمُسَبّب، فقد يكون السببُ صحيحًا في نفسه، لكن لا علاقة له بالمسبّب. وقد يكون الغلط في عدَم كفاية الدَّليل؛ حيث يقدّم الشخصُ معلوماتٍ ناقصةً، أوْ غير دقيقة.

إنَ بيان هذه المغالطات هو محاولة لبناء حِوَارٍ فَعّال، من خلال تبسيطها وإبراز ما بها من أخطاء، كخطوة أولية وأساسية لتَبَنّي أفكارٍ صحيحة، وفهْم جيّد للواقع، مع محاولة لإيجاد مسارٍ داخل هذه الفوْضَى الفكرية.

ولما كانت المطويّاتُ -بصفة عامَّة- من أهمّ ما يميزها أنها أداةٌ علميةٌ مبسّطة،تهدف إلى إثارةِ الفكْر وتحريك المعارف، وإعطاء مفاتيح من شأنها أن تحفّز القارئ نحو التطلّع للبحث في بعض القضايا المهمة والإلمام ببعض جوانبها، رأينا أهمية طرْحِ هذا الموضوع بجزأيْهِ على هذا الشكل، مع اختيار المغالطات الأكثر أهميةً وشهرةً وانتشاراً

وفي هذا الجزء نستكمِل باقي المغالطات:

١) مغالطة التقسِيم الخاطئ أو الإحراج الزائف: إمَّا أبيض وإمّا أسود:

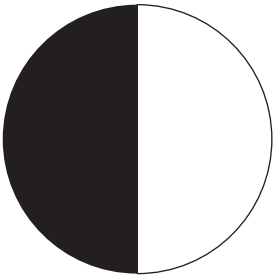

وفيها يتم وضْع الشخص في اختيارٍ بين أمرَيْن، وكأنه لا خيار ثالث أمامه، مع أنه في الحقيقة توجد خياراتٌ وبدائلُ أخْرَى.

والإشكال في هذه المغالطة أنها تظهر وكأنها سليمة منطقيًا، في حين أن الشخص لو تجاوز هذين الخيارين سيجد أمامه خياراتٍ عديدةً، وسيُدرك أن محاولةَ حصْره في خياريْن فقط هي مجرد مغالطة ليس أكثر.

مثالها المشهور: إما أن تكون معي أو مع الفريق الآخر، وبالتالي تصبح عدُوّي، وهذا خطأ لأنه من حقي ألا أكون معك ولا مع الفريق الآخر، قد أريدُ أن أكونَ محايدًا ولا أنتمي لأيٍّ منكما، فهناك إذَنْ خِيَارٌ ثالث لم يذكرْه المغالِط، وحينئذ يمكنك تفنيدُ حجّة الخصْم بأنْ تسأله: أليسَ هناك بدائل أخرى؟

٢) مغالطة الرّنجة الحمراء أو التشْتيت:

وفيها يتم صرف انتباه الشخص عن القضية الأساسية وذلك عن طريق إدخال تفصيلات غير مهمة، وقد لا تتعلّق بالقضية من الأساس، لكن المغالِط يذكرها هنا لتشتيت الشخص المخاطَب وإبعاده عن القضية الرئيسية.

وسُمِّيَت بهذا الاسم لأنّ الرنجةَ الحمراء ذات الرائحة النفاذة كانت تُستخدَم لإلْهَاءِ الكلابِ عن رائحة ما تُطارده من صيْد أو من المجرمين الفارّين من العدالة أو غيره. ثم استُعيرَت لتشْتِيت الانتباهِ عن المسألة الأساسية في الجدَل، على طريقة: انظر إلى العصفورة.

مثالها: أن يكون موضوعُ الحديث –مثلاً- هو دوْر وسائل التواصل الاجتماعي في التأثير على الذوْق العام، فنجد واحدًا من المستمعين يقول عن المتحدث: انظروا إلى موقفه السياسي أو موقفه الديني من قضية كذا، أو هل تعرفون أنّ شقيقَه يعمل في وزارة كذا؟

فإنّ هذه الموضوعات لا علاقة لها بالقضية محلّ الجدل والحوار، بل كان ذكرها من أجل تشتيت المخاطبين.

٣) التوسُّل بالسلطة، أو الاحتكام إلى السلطة:

وهي أن يعتقد الشخص في قضية معينة بمجرد النظر إلى سلطة قائلها ومكانته، نعم قد تكون القضية في نفسها صحيحة، لكنه لم يفكر في القضية في حدِّ ذاتها، بل أصبحت مقبولةً لديه لمجرّد أن قائلها فلان، أو أنها جاءت من جريدة كذا، أو صدرت عن مؤسسة كذا.

قد تكون السلطة جهة علمية، أو سلطة اتباع الآباء والسابقين، أو سلطة العادات والتقاليد، أو سلطة المجتمع أو غيرها. وهذا النوع من المغالطات سهل التَّعرُّف عليه وكشفه بشيءٍ يسيرٍ من التأنّي والتدقيق.

مثالها: قول أحدهم ينصح الخبراءَ باستعمال منتجاتِ شركة كذا. أو يُوصي المتخصصون بكذا... ولم يحدِّد من هم هؤلاء الخبراء، ولا الأسباب الداعمة لرأيهم، غير استناده إلى لفظ الخبراء والمختصّين.

لكن من المهم أيضًا التنويه إلى أن هذه المغالطة لا يجب أن تُستخدَم لتجاهُل آراءِ الخبراءِ، أو الإجماع العلمي الصحيح المستوْفِي لشُروطه.

٤) مُغَالَطة الْمُنحدر الزّلق:

هي ربْط حدوثِ أمر بسيط أو تافِه بسلسلةٍ من الأمور المهمة التي تنتهي بحدَث سلبيّ قَد يُسبِّب كارثة، لذلك يجب منْع حدوثِ الأمْر الأوَّلِ.

مثالها: أنْ تقولَ أمٌّ لابنها: "إنْ لم تقُمْ بعملِ واجبِ مادة اللغة العربية اليوم فإنك سترسُب في الامتحان، وبالتالي لن تستكملَ دراستَك، وسيضيعُ مستقبلُك وتُصبح فاشلاً".

إذا نظرنَا إلى بدايةِ الأمْر سنجده عدَم القيام بعمل واجبٍ مدرسيّ، أدّى في النهاية -على حسب زعم الأم- إلى ضياع مستقبلِ الولد وفشَله. وهذا التسلسل غير منطقي؛ لأن عدمَ القيامِ بواجبٍ مدرسيّ في مادة واحدة، ليوم واحد، لن يكون سببًا في الرسوب، وبالتالي لن يكون سببًا في ضياع مستقبل الابن، وفشله في حياته كلها.

والمشكلة في هذا المنطق الخاطئ أنَّه يُجَنِّبُنَا التعامُلَ مع القضيةِ الأساسية، بأن يحوِّل انتباهنا إلى افتراضات مسبقة مبالغ فيها.

٥) المغالطة البعدية، أو مغالطة السبب الزائف، أو خلط الارتباط بالأسباب؛ حَدَثٌ بَعْدَهُ (إِذَنْ) هو سببه:

إن ارتباطَ حدوثِ أمريْن لا يعني بالضرورة أنّ أحدهما هو الذي يُسبّب حدوث الآخر. لكن هناك مَنْ يرَى أنه مادام شيءٌ مَا قد أتى بعدَ شيءٍ آخَر، فهو إذن قد حدَث بسببه.

مثالها المشهور: إن الشمس تشرق بعد صياح الديك كل صباح، إذن صياح الديك هو السبب في شروق الشمس.
أو كأن يرتدي أحدُهم قميصًا ما في امتحان، ثم يرسب في هذا الامتحان، فيقول إن هذا القميص هو سبب رسُوبه.

ويستخدم البعض هذه المغالطة كثيرًا في الدلالة على العلاقة بين تَرْك الدين وبين التقدُّم الحضاري في الغرب، رغم أن الموضوعَ أعقدُ من أن يفسَّر بهذه السطحية والسذاجة. إذ لا بد من القيام بتحليل كل الأحداث المرتبطة بالحدثين، وعلى جميع المستويات لإثبات أن هناك علاقة سببية بينها.

وعلى هذه المغالطة يقوم الكثير من حِرَف العِرافة والتنجيم وتفسير الأحلام والعلاج الشعبي.

٦) مغالطة المصطلحات الرنانة:

يعتمد بعض المتحدثين على استعمال المصطلحات المعقّدة والصعبة، والتي -في بعض الأحيان- تكون من اختراعهم؛ لكي يزيد من وجاهة كلامه وتأثيره، اعتقادًا منه أن السامعين سيظنون أن المتحدثَ يفهم أكثر ما دام يستخدم هذه المصطلحات التي لا يفهمونها، وهذا بدوْره يقود إلى أن ما يقوله لا بدّ أن يكون صوابًا، خاصّةً لو استخدمَ المتحدثُ بعضَ مُنجزَاتِه العلميّة من شهادة دكتوراه، أو زمالة دولية، أو غيرها، فعندئذٍ يصدّقُه الناس في كل ما يَقول.

الابستمولوجيا	اليوتوبيا	السوسيولوجيا	الدوجماطيقية	الهرمونيطيقا

هذا المغالطة قد تنجح في معظم الأحيان؛ لأنها تعتمد على خوْفِ بعض الناس من كلمة "لم أفهَمْ" فيتظاهَرون بأنهم قد فهموا، والبعض الآخر قد يظن أن المشكلة فيه هو وأن مستواه العقلي والفكري أقل من الشخص المتحدث فيسكُت.

هذا النوع من المغالطات كان يعتمدُ عليه السياسيون والشخصيات العامة في خطاباتهم؛ للتأثير على الجمهور، غير أنه أصبح منتشرًا على وسائل التواصل الاجتماعي بشكلٍ واسع.

٧) مغالطة السؤال الملغوم، أو المشحون، أو المركب:

هو تكتيك يقومُ على وضْع الخصْم في خيارٍ صعب، عن طريق تقديم سؤال يجبره على الجواب بنعم أو لا، والسؤال أصلاً في نفسه خطأ.

والمثال التقليدي على هذه المغالطة سؤال أحدهم:

هل توقفْتَ عن ضرب زوجتك؟

فسواء كانت الإجابة (نعم) أم (لا)، فإن المجيب يعترف بالفرْض المسبق وهو أنه كان في وقتٍ ما يضرب زوجته.

والمثال المشهور في باب العقيدة على هذا النوع من المغالطات هو: هل يستطيع ربُّك أن يخلق إلهًا مثله؟ وهل يستطيع ربك أن يخلق حجرًا لا يستطيع كسْره؟ وهل يستطيع ربك أن يخلق بَشَرًا مخلدًا لا يفْنى؟

هذه الأسئلة لو أَجبْت عنها بِ(نعم)، باعتبار أن الله له مطلق القدْرة، فستجدُ نفسَك أمام أجوبة تدلّ على عجزه، أو وجود شريك له تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كَبِيرًا، ولو أَجبْتَ عنها بـ (لا) ستجدُ نفسك أيضا أمام الإجابة بعجْزِه وعدَم قدرته سبحانه وتعالى. لأن السؤال في تركيبه –أصلاً- مخالفٌ للمنطق. حيث إن قدرة الله لا تتعلق إلا بالممكنات فقط، أي الأشياء التي تقبل الوجود تارة والعدم تارة أخرى، لأن قدرة الله لو تعلقت بإيجاد الواجب، فهو الموجود الذي لا يقبل العدم أصلا، فيكون تعلقها به تحصيلًا للحاصل. ولو تعلقت قدرته تعالى بالمستحيل لإيجاده؛ فهو المنفي الذي لا يقبل الوجود أصلًا، فيكون وجوده قلبًا للحقائق. والرد الذَّكي على مثل هذه الأسئلة أن يقوم الشخص بتحليل مكوناتها، ثم يجيب عن السؤال المضمر أولًا، أو يناقشه، أو يفنّده، عندئذ يتبدّد السؤالُ الصريح.

”فَـلْـنَنْـتَبِهْ ولْنَتَأَمّلْ قبْل البدء في أيّ حوارٍ، وحتّى قبل تبَنِّي أيةِ أفكَار.“

أهم المراجع:

أبوحامد الغزالي: **معيار العلم**

أحمد خيري العمري: **ليطمئن قلبي**

عادل مصطفى: **المغالطات المنطقية**

محمود قاسم: **المنطق الحديث ومناهج البحث**